النعمة والابتلاء وأثرهما في تربية المؤمنين

* د. محمد آدم محمد صديق

مستخلص البحث

ذكر البحث أن الابتلاء نعمة على المؤمنين يربى نفوسهم ويقوي عزائمهم وبه يتميز الناس ، والابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير، وهو إمتحان لتصفية الرجال وأكثرهم ابتلاءً الأمثل ثم الأمثل من لدن آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحتى قيام الساعة وعند الثبات عليه وعلى المحن المزلزلة يجئ النصر لمن يستحقه عاجلاً أم آجلاً.

Abstract :

The research says that an examination is a bless upon believers, it educates them, strengthens their wills and it distinguishes people. Examination maybe by bless or evil. It is an examination to purify men , and the best of them are harshly examined. This is a method carried out since Adam up to our prophet Mohammed, peace be upon him , and still it continues to the doomsday . If people bear these examinations and the quaking disasters, victory will follow, sooner or later for those who deserve it.

---

* أستاذ مساعد ، كلية أصول الدين ، جامعة أم درمان الإسلامية.

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل القرآن رحمة للعالمين ، وجعله مناراً للمهتدين ، ونوراً للمستضيئين ، وشفاء للصدور في حكمته ، وربيعاً للقلوب في روضته ، وعزاء للفقير في ضيعته ، وأنيساً للمستوحش في وحشته ، ونجياً للمؤمن في خلوته ، وهدي للعلم برمته ، وأصلي وأسلم علي من بعثه الله رحمة للعالمين ، بشيراً ونذيراً وداعياً إلي الله بإذنه وسراجاً منيراً ، سيدنا محمد بن عبد الله وعلي آله وصحبه ومن اهتدي بهديه ودعا بدعوته إلي يوم الدين.

الحمد لله القائل في محكم كتابه وتنزيله:**﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) ﴾ سورة العنكبوت** الابتلاء نعمة عظيمة من نعم الله علي عباده المؤمنين ، به تتربي نفوسهم علي تحمل الصعاب والمشاق ، من التكليف وتبليغ الدعوة ، وبه يتميز الناس بعضهم عن بعض.

قال رسول الله ﷺ :" إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط[1]. وكما يكون الابتلاء بالشر ، يكون الابتلاء بالخير ، قال تعالي:**﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (35) ﴾ سورة الأنبياء.** الابتلاء سبب لمحو السيئات ، وزيادة الدرجات ، ولذلك ورد في الحديث :" ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده ، وماله ، حتى يلقي الله تعالي وما عليه خطيئة [2].

يبين هذا البحث أصول النعم في الحياة الدنيا ، كالمال والأمن والصحة والولد والأهل ، ويبين أن الخير للمؤمن فيما يختاره الله تعالي له ، فان اختار له الخير من كثرة المال والصحة ونحو ذلك فهو الأفضل له .

ثم يبين هذا البحث كيفية الشكر علي الابتلاء سواء أكان ذلك بالخير أم بالشر.وكيفية الصبر على البلاء.

المبحث الأول

حقيقة النعمة ومفهومها

النعمة في القرآن الكريم لها مفهوم خاص غير ما ألفه الإنسان في حياته ، فقد يري الإنسان أن النعمة في كثرة المال والولد بينما تكون في حقيقة الحال نقمة عليه ، وقد يري الإنسان ما يصيبه من شر وبالاً عليه، بينما هو في حقيقة الحال نعمة عظيمة جداً ، وهذا يتطلب منا عرض المفهوم الحقيقي للنعمة . وهذا مصداق قوله تعالي ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} (16) ﴾ سورة الفجر .

تعريف النعمة لغةً وشرعاً :

أولاً : تعريف النعمة لغة :

تدل كلمة النعمة في أصل اللغة علي الحالة التي يستلذها الإنسان ، ويعني بها الرفاهية وطيب العيش قال صاحب القاموس المحيط : (والنُعمى بالضم الخفض والدعة والمال ، كالنعمة بالكسر وجمعها نعم وأنعم ، والتنعم الترفه ، والاسم النعمة بالفتح : نَعِم كسمع وضرب ، والنِعمة بالكسر : المسرة واليد البيضاء الصالحة ، كالنعمى – بالضم –والنعماء بالفتح ممدودة – وجمعها : أنعم ونعم ونعمات – بكسرتين – وبفتح العين ، ونعم العود : اخضر ونضر .. والنعم – وقد تسكن عينه – الإبل والشاء أو خاص بالإبل. والناعمة والمناعمة والمنعمة كمعظمة ، الحسنة العيش والغذاء) [3].

قال ابن منظور في لسان العرب : (النعيم والنعمى والنعماء والنعمة ، كله : الخفض والدعة والمال وهو ضد البأساء والبؤس .. وجمع النعمة نعم وأنعم – والنعم – بالضم خلاف البؤس ، والجمع : أنعم وأبؤس ونعم الشيء نعومة ، أي صار ناعماً ليناً . والتنعم، الترفه ، والاسم : النعمة .. والنعمة بالفتح – التنعيم – والنعمة : اليد البيضاء الصالحة ، والصنيعة والمنّة ، وبما أنعم به عليك . ونعمة الله – بكسر النون – منّة ، وما أعطاه الله العبد مما لا يمكن غيره أن يعطيه إياه كالسمع والبصر ، والجمع منهما نعم وأنعم ، قال ابن جني : جاء ذلك علي حذف التاء فصار كقولهم ذئب وأذؤب ، والنعمى : كالنعمة ، فإن

فتحت النون مددت فقلت : النعماء ، والنعيم مثله .. والنعمة – بالكسر – اسم من أنعم الله عليه إنعاماً ونعمةً ، أقيم الاسم مقام الإنعام ..)[4].

قال الجوهري :"النعمة (بالفتح): التنعيم ، يقال : نعمه الله ونعمه فتنعم ، وامرأة منعمة ومناعمة ، بمعني . والنعمة (بالكسر):اليد والصنيعة والمنّة وما أنعم به عليك . وكذلك النعمى . فإن فتحت النون مددت وقلت : النّعماء . والنعيم مثله . وفلان واسع النعمة ، أي واسع المال" [5].

ثانياً : معني النعمة في الشرع :

تدل كلمة النعمة في أصل اللغة علي الحالة التي يستلذها الإنسان ، ويعني بها الرفاهية وطيب العيش ، فقد تكون هناك لذة في المعاصي ، ولهذا قيدها بعضهم بما تحمد عاقبته .

قال الآلوسي : "النعمة عبارة عن المنفعة الحسنة المفعولة علي جهة الإحسان إلي الغير ، قالوا : وإنما زدنا قيد الحسنة لأن النعمة يستحق بها الشكر ، وإن كانت قبيحة لا يستحق بها الشكر والحق أن هذا القيد غير معتبر ، لأنه لا يجوز أن يستحق الشكر بالإحسان وإن كان فعله محظوراً ، لأن جهة الشكر كونه إحساناً ، وجهة استحقاق الذم والعقاب الحظر ، فأي امتناع في اجتماعهما ؟ ألا تري أن الفاسق يستحق الشكر لإنعامه والذم لمعصية الله تعالي فلم لا يجوز أن يكون الأمر هاهنا كذلك[6].

وعليه فيكون معني النعمة : الحالة المستلذة من أمر تحمد عاقبته .

ثالثاً : صيغ النعمة :

وردت كلمة النعمة في القرآن الكريم بعدة صيغ منها :

(1) النّعمة – بكسر النون – اليد والصنيعة والمنّة وما أنعم به عليك . المسرة واليد البيضاء الصالحة وبناؤها بناء الحالة والهيئة كالجِلسة والرِكبة[7] .وتقال للجنس القليل والكثير.

(2) النعمة – بفتح النون – التنعيم ، يقال : نعّمه الله وناعمه فتنعم ، وامرأة منعمة ومناعمة . وبناؤها بناء المرة من الفعل ، كالضَربة والشَتمة [8].

ولعلها استخدمت في الحديث عن التنعم المنهي عنه ، فاستخدمت في الحديث عن تنعم الكافرين في الدنيا، قال تعالي:﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ(27)** ﴾ **سورة الدخان**. وقال تعالي:

﴿ **"وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (11)** ﴾ **سورةالمزمل.**

(3) النُعمى – بالضم – الخفض والدعة والمال كالنعمة بالكسر [9].

(4)النّعيم : وهو النعمة الكثيرة [10].

المفهوم الحقيقي للنعمة :

النعمة الحقيقية هي السعادة الأخروية ، أو ما يوصل إليها ، وكل نعمة مقصورة علي الأمور الدنيوية فهي نعمة ناقصة ، فقد يكون البلاء نعمة عظيمة ، وقد تكون السعادة الدنيوية بلاءً عظيماً.

إن كل خير ولذة وسعادة يسمي نعمة ، ولكن السعادة الأخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز ، كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين علي الآخرة نعمة ، فإنّ ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً ولكن لا يكون إطلاقه علي السعادة الأخروية أصدق [11].

ذم القرآن الكريم علي الجاحدين فهمهم الخاطيء لمفهوم النعمة ، وذلك أن الإنسان يتصور أن كثرة النعمة وإفاضة الرزق إنما هو إكرام له ، وأن قلة الرزق إهانة له ، وهو في الحالتين مخطيء ، فقد يكون بسط الرزق بالنسبة له أفضل ، وقد يكون تقتير الرزق له أفضل ، والله وحده هو الذي يعلم حقيقة ذلك ، ولهذا يفيض علي بعض عباده المؤمنين ويقدر علي البعض الآخر ، يقول الله تعالي : ﴿**فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ(15)**﴾. **سورة الفجر.**

أي إن الإنسان مخطيء في تفكيره ، أنه إذا امتحنه ربه واختبره بالنعم ، فأكرمه بالمال ، ووسع عليه الرزق ؛ فيقول : ربي أكرمني وفضلني واصطفاني ورفعني وعافاني من العقوبة ، معتقداً أن تلك هي الكرامة ، فرحاً بما نال ، وسروراً بما أعطي ، غير شاكر الله علي ذلك ، ولا مدرك أن ذلك إمتحانٌ له من ربه .

وقوله تعالي أيضاً : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (11) ﴾ سورة الحج.

ثم ذكر الجانب الآخر وهو أن الفقر والتقتير ليس دليلاً علي سخط الله علي العبد ، فقال تعالي: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) ﴾ سورة الفجر .

أي وأما إذا ما اختبره وامتحنه بالفقر والتقتير ، وضيق عليه رزقه ولم يوسعه له ، فيقول : ربي أهانني وأذلني . وهذا خطأ أيضاً فلا يصح أن يعتقد أن ذلك إهانة له وإذلال لنفسه .

فالانسان مخطىء في الحالين ؛ لأن سعة الرزق لا تدل علي أحقية العبد لها ، بدليل ما نراه من فقر بعض الأنبياء والصلحاء والعلماء .

والكرامة عند الله للطائع الموفق لعمل الآخرة ، والإهانة والخذلان عند الله للعاصي غير الموفق للطاعة وعمل أهل الجنة ، وليست سعة الدنيا كرامة ورفعة ، ولا ضيقها إهانة ومذلة ، وإنما الغني اختبار للغني هل يشكر ، والفقر اختبار له هل يصبر[12].

يقول ابن كثير : (يقول تعالي منكراً علي الانسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالي عليه في الرزق ليختبره في ذلك ، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له ، وليس كذلك بل هو اختبار وامتحان كما قال تعالي : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (56) ﴾ سورة المؤمنون. وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له ، قال الله تعالي "كلا " أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا ، فإن الله تعالي يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، ويضيق علي من يحب ومن لا يحب ، وانما المدار في ذلك علي طاعة الله في كل من الحالين : إذا كان غنيا بأن يشكر الله علي ذلك وإذا كان فقيراً بأن يصبر[13].

الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له ، قال الله تعالي "كلا " أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا ، فإن الله تعالي يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، ويضيق علي من يحب ومن لا يحب ، وانما المدار في ذلك علي طاعة الله في كل من الحالين : إذا كان غنيا بأن يشكر الله علي ذلك وإذا كان فقيراً بأن يصبر[13].

قال القرطبي في معني هذه الآية : (الآيتان صفة كل كافر وكثير من المسلمين يظن أن ما أعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله ، وربما يقول بجهله : لو لم أستحق هذا لم يعطنيه الله . وكذا إن قتر عليه يظن أن ذلك لهوانه علي الله .

قوله تعالي :"كلا " رد، أي ليس الأمر كما يظن ، فليس الغني لفضله ، ولا الفقر لهوانه ، وانما الفقر والغني من تقديري وقضائي [14] قال الشوكاني: (ذكر الله تعالي ما يدل علي اختلاف أحوال عباده عند إصابة الخير وعند إصابة الشر ، وأن مطمح أنظارهم ومعظم مقاصدهم هو الدنيا فقال تعالى :**﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) ﴾ سورة الفجر.** فرحاً بما نال وسروراً بما أعطي ، غير شاكر لله علي ذلك ولا خاطر بباله أن ذلك امتحان له من ربه ، واختبار لحاله وكشف لما يشتمل عليه من الصبر والجزع والشكر للنعمة وكفرانها .

قوله تعالي : **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) ﴾ سورة الفجر** وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، لأنه لا كرامة عنده إلا الدنيا في متاعها ، ولا إهانة عنده إلا فوتها وعدم وصوله إلي ما يريد من زينتها ، فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته ويو فقه لعمل الآخرة ، وقوله تعالي :"كلا"ردع للإنسان القائل في الحالتين ما قال وزجر له ، فان الله سبحانه قد يوسع الرزق ويبسط النعم للإنسان لا لكرامته ، ويضيقه عليه لا لإهانته ، بل للإختبار والإمتحان [15] خلاصة القول ما ذكره الاستاذ سيد قطب في معني هذه الآيات فقال :(فهذا هو تصور الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال ، ومن بسط وقبض ، ومن توسعة وتقتير .. يبتليه بالنعمة والإكرام . بالمال أو المقام . فلا يدرك أنه ابتلاء ، تمهيدا للجزاء ، إنما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلاً علي استحقاقه عند الله للأكرام ، وعلامة علي اصطفاء الله له واختياره . فيعتبر البلاء

جزاء والامتحان نتيجة ، ويقيس الكرامة عند الله بعرض هذه الحياة ؛ ويبتليه بالتضييق عليه في الرزق ، فيحسب الابتلاء جزاء كذلك ، ويحسب الاختبار عقوبة ، ويري في ضيق الرزق مهانة عند الله ، فلو لم يرد مهانته ما ضيق عليه رزقه .

وهو في كلتا الحالتين مخطىء في التصور ومخطىء في التقدير .فبسط الرزق أو قبضه ابتلاء من الله لعبده ، ليظهر منه الشكر علي النعمة أو البطر ، ويظهر منه الصبر علي المحنة أو الضجر ، والجزاء علي ما يظهر منه بعد .

غير أن الانسان – حين يخلو قلبه من الإيمان – لا يدرك حكمة المنع والعطاء ، ولا حقيقة القيم في ميزان الله .. فإذا عمر قلبه بالإيمان اتصل وعرف ما هناك ، وخفت في ميزانه الأعراض الزهيدة ، وتيقظ لما وراء الابتلاء من الجزاء ، فعمل له في البسط والقبض سواء . واطمأن الي قدر الله به في الحالين ، وعرف قدره في ميزان الله بغير هذه القيم الظاهرة الجوفاء [16].

المبحث الثاني:

حقيقة الابتلاء وبيان الحكمة منه

تعريف الابتلاء:

معني الابتلاء في أصل اللغة هو الاختبار ، ويستعمل أصل البلاء في الفناء والعطب والتلف ونحوه ، فيقال : بلي الثوب اذا تلف ، ثم صار يستعمل الابتلاء في الاختبار.

قال الجوهري :(بلوته بلوا : جربته واختبرته ، وبلاه الله بلاء وأبلاه بلاء حسناً .

وابتلاه : اختبره ، والتبالي الاختبار .

والبلاء : الاختبار ويكون بالخير والشر ، يقال : أبلاه الله بلاء حسناً ، وأبليته معروفاً [17].

قال ابن منظور : (بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته : اختبرته ، وبلاه يبلوه بلوا إذا جربه واختبره ... وابتلاه الله : امتحنه.. البلاء يكون في الخير والشر ، يقال : ابتليته بلاء حسناً وبلاء سيئاً، والله تعالي يبلي العبد بلاء حسناً ويبليه بلاء سيئاً .. والجمع البلايا [18].

قال الراغب الأصفهاني :" يقال : بلي الثوب بلي وبلاء ، أي خلق ، ومنه لمن قيل سافر : بلاه سفر ، أي أبلاه السفر ، وبلوته أي اختبرته كأنى أخلقته من كثرة اختبارى له،وقرىء في قوله تعالى: **﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ (30) ﴾ سورة يونس.**

أي تعرف حقيقة ما عملت ، ولذلك قيل : أبليت فلاناً إذا اختبرته ، وسمي الغم بلاء من حيث إنه يبلى الجسم ، قال تعالي : **﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ} (106) ﴾ سورة الصافات** سمي التكليف بلاءً من أوجه :

الأول : بأن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء .

الثانى : أنها اختبارات ، ولهذا قال عز وجل : **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (31) ﴾ سورة محمد .**

الابتلاء بالشر والخير :

الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير ، فيختبر الناس بالشدة والرخاء ، والحلال والحرام ، وينظر كيف شكرهم وصبرهم ، ثم يكون المرجع والمآل إلى الله تعالي للجزاء بالأعمال . قال تعالي :**﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (35) ﴾ سورة الأنبياء.**

أي نبتليكم ونختبركم بالبلايا والنعم ، أو بالمحبوب والمكروه ، بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغني والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلال ، اختباراً وامتحاناً ، لنعلم مدى صبركم وشكركم .

والمراد من ذلك : أنا نختبركم لنعرف الصابر في الشدائد ، والشاكر في الرخاء .

الابتلاء يكون بأحدأمرين :

أحدهما – ما سماه خيراً : وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور .

والثاني – ما سماه شراً : وهو المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين[19].

حكمة الابتلاء :

للابتلاء حكم كثيرة منها :

(1) الصبر : قد يبتلي الله تعالي المؤمنين بأنواع المصائب والابتلاءات ليعلم مدي صبرهم وقوة إيمانهم ، حتى إذا ثبت صبرهم كانوا أهلا لتحمل تكاليف هذا الدين . قال الله تعالي:**﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157) ﴾ سورة البقرة.**

يخبر تعالي أنه يبتلي عباده ، أي يختبرهم ويمتحنهم ، حتى يعلم المجاهدين منهم والصابرين ، قال تعالي : **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ(31)﴾ سورة محمد**، فتارة بالسراء ، وتارة بالضراء من خوف وجوع ، كما قال تعالي :**﴿ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ (112)﴾ سورة النحل.** أي ذهاب بعضها"والأنفس كموت الأصحاب والأقارب والأحباب ، "**(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)**سورة البقرة أي تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله ، يتصرف في عبيده بما يشاء ، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة ، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده ، وأنهم إليه راجعون[20].

(2) تمييز الصف المؤمن من غيره قال الله تعالي :**﴿ مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ (179)﴾ سورة آل عمران** ، يظهر الابتلاء الفروق المميزة بين المؤمنين ؛ فالمؤمن القوي ثابت علي دينه مهما تعرض للابتلاءات ، لا يهزه الابتلاء، بل يزيده ايماناً وثباتاً علي الحق.

(3) تكفير الخطايا والسيئات : عندما يتعرض المؤمن للابتلاء ، ويصبر عليه ويحتسب ، فانه يكفر من خطاياه وسيئاته ، قال رسول الله ﷺ : " ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة "[21]وقال رسول الله ﷺ :"ما من مسلم يصيبه أذى ، شوكة فما فوقها إلا كفّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها) [22] وقال رسول الله ﷺ :" ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم إلا كفر به من سيئاته" [23].

(4) رفع الدرجات : يرفع الله المؤمنين بتحملهم وصبرهم علي البلاء درجات في الجنّة قال رسول الله ﷺ :"ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة" [24] وقال رسول الله ﷺ :"فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً ، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ، إلا كان له مثل أجر الشهيد [25].

(5) الحياة الدنيا كلها ابتلاء من الله تعالي : **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)﴾ سورة الملك .**

المبحث الثالث :ألوان الابتلاء :

الابتلاء بالغني والفقر :

يبتلي الله تعالي عباده بالغني والفقر ، قال الله **تعالي : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (15)﴾ سورة التغابن .**

ففي هذه الآية يبين سبحانه أن الأموال والأولاد فتنة : أي بلاء واختبار ، يحمل علي كسب الحرام ، ومنع حق الله تعالي ، فلا طاعة لهم في معصية الله [26] .

ويقول تعالي :**﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ(15)﴾ سورة الفجر.** يقول الأستاذ سيد قطب : " قد يغدق الله علي أهل الشر استدراجاً لهم ليزدادوا سوءاً وفساداً ، ويتضاعف رصيدهم من الإثم والجريمة ، ثم يأخذهم في الدنيا أو الآخرة – وفق حكمته وتقديره – بهذا الرصيد الأثيم ، وقد يحرمهم فيزدادوا شراً وفسوقاً وجريمة وجزعاً وضيقاً ويأساً من رحمة الله ، وينتهوا بهذا إلي مضاعفة رصيدهم من الشر والضلال.

ولقد يغدق الله علي أهل الخير ليمكنهم من أعمال صالحة كثيرة ما كانوا بالغيها لو لم يبسط لهم في الرزق ، وليشكروا نعمة الله عليهم بالقلب واللسان والفعل الجميل [27].

فالله تبارك وتعالي إذا علم من عبده المؤمن أن المال أفضل له فيعطيه كما يشاء سبحانه ليكون ذلك سبباً في زيادة قربه من ربه تبارك وتعالي ، وإذا علم أن قلة المال أفضل لعبده المؤمن فيمنعه منه حتى لا يفتن به ، وفى كلا الأمرين ابتلاء بالنسبة للمؤمن ، ابتلاء بإفاضة المال وابتلاء بقلته أو عدمه والله تعالى هو الذى يختار لعبده.

الإبتلاء بالصحة والمرض :

الصحة والعافية نعمة عظيمة ينبغي علي المرء الشعور بها واغتنامها قبل المرض، والإبتلاء بها من باب الإبتلاء بالخير ، والله تعالي يعطي العبد الصحة كما يعطيه المال حتي يختبر أمره لينظر كيف يعمل بها وكيف يستغلها. قال رسول الله ﷺ :" المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير [28].

ففي المرض عجز عن القيام بتكاليف العبادة ، لذلك يجب علي الانسان أن يغتنم فرصة صحته قبل مرضه ، قال رسول الله ﷺ :" اغتنم خمساً قبل خمس ، شبابك قبل هَرَمك ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك [29].

في الإبتلاء بالمرض نعم عظيمة ، وأن من أصيب بمرض فقد أراد الله به خيراً ، يقول رسول الله ﷺ :" ما يصيب المؤمن من تعب ولاوصب ولا هم ولا حزن ولا أذي ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه [30]. ويقول رسول الله ﷺ :" من يرد الله به خيراً يصب منه[31]. ويقول رسول الله ﷺ :" ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالي وما عليه خطيئة[32].

وعلي الإنسان أن يسأل الله العافية. وإن كان الابتلاء بالعافية أشد ، وبها تبين حال المؤمن أكثر من المرض . أما المؤمن فإنه متصل بالله تعالى في حالتي السراء والضراء ، يقول النبيﷺ:"عجباً لأمر المؤمن ، إنّ أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له[33].

الابتلاء بالأمن والخوف :

الابتلاء بالأمن والخوف ابتلاء بالخير والشر ، فقد يمن الله على بعض عباده بأن يعطيهم الأمن ليختبر أمرهم أو يبتليهم بالخوف ليختبر صبرهم.

الأمن نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على عباده ، حيث يشعر فيها الإنسان بلذة النعم ، أما الخائف فلا يشعر بقيمة النعم فى الدنيا، ولا يكون شيء عنده أفضل من أن يأمن من ذلك الخوف.

قال الله تعالى :﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155)﴾ سورةالبقرة.**

الدنيا دار ابتلاء واختبار ، والبلاء يكون حسناً ، ويكون سيئاً ، وأصله المحنة ، قال الله تعالى :﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً (35)﴾ سورة الأنبياء.** وقال تعالى :﴿ **وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً (17)﴾ سورة الأنفال.** والله عزّ وجلّ يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ، ويبلوه بالبلوى التى يكرهها ليمتحن صبره ، فقيل للحسن بلاء ، وللسيء بلاء.

قال الله تعالى :﴿ **{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (4) ﴾سورة قريش.** قوله تعالى :" وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ" أي تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً ، ولهذا من استجاب لهذاالأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه ، كما قال الله تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} (112)﴾ سورة النحل.**

والأمن فى الآخرة أشد وأعظم حيث يصيب النّاس فى المحشر خوف عظيم ، لكن عباد الله المؤمنين وأولياءه يؤمنهم الله من ذلك الخوف والفزع كما قال تعالى :﴿ **لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } (103)**[34] **سورة الأنبياء.**

الابتلاء بالأهل والولد:

من أجلّ نعم الله على عباده فى الحياة الدنيا نعمة الأهل والأبناء ، لذلك يمتن الله على عباده فيقول تعالى : ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحَفَدة ورزقكم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72)﴾ سورة النحل.**

الأهل والأولاد والأقارب من أجل نعم الله تعالى على الانسان فى الحياة الدنيا ، التى لا تطيب الحياة الا بهم ، فهم عون للإنسان فى حياته ، يعينونه فى كبره وفى ضعفه ، ويعينونه على قضاء حوائجه ، وهم من ضرورات الحياة الدنيا .

جعل الله الأولاد من ضرورات الحياة الدنياوزينتها ؛ يقول تعالى :﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (46)**﴾سورة الكهف .

قال الله تعالى :﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)** سورة آل عمران .

يكون الابن الصالح عوناً لوالديه في الحياة الدنيا وفى الآخرة ، قال رسولالله ﷺ:"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ابن صالح يدعو له [35].

يحذر المولى عزّ وجلّ من فتنة الأولاد فيقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (14)**﴾ سورة التغابن ويقول الله تعالى :﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15)** ﴾سورة التغابن .

كثرة الأولاد و قلتهم أو عدمهم بمشيئة المو لى عزّ وجل ، فكلها اختبار يقول المولى عزّ وجل ّ :﴿ **لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير (120)**﴾ سورة المائدة .

الابتلاء بالموت والحياة :

الموت والحياة من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وحكمته، فهو الذى أنشأ الخلائق من العدم ليختبرهم أيهم أحسن عملا ، يقول الله تعالى : ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (2)** ﴾ سورة الملك .

الله الذي أوجد الموت وأوجد الحياة ليعامل العباد معاملة المختبر ، ويقيم الدليل عليهم أيهم أطوع وأخلص لله ، وهو سبحانه القوي الغالب في انتقامه ممن عصاه ، الغفور لمن تاب .

وقال قتادة: يعنى موت الانسان أذل الله به ابن آدم ، والحياة حياته فى الدنيا " لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" اللام فى ليبلوكم تتعلق بخلق الحياة دون خلق الموت : لأن الابتلاء بالحياة ، وفيها قال رسول الله ﷺ :"فى قوله :" أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" " أيكم أحسن عقلاً ، وأورع عن محارم الله " وقال النبي ﷺ :" أتمكم عقلاً أشدكم خوفاً لله ، وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً" وقال الحسن : أيكم أزهد فى الدنيا وأزهد لها (36).

من أعظم ابتلاءات الدنيا مصيبة الموت. والموت فى الأصل السكون ، وكل ما سكن فقد مات . وهو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته والحيلولة بينهما، ، وتبدل الحال، وانتقال من دار الفناء إلى دار الخلد ، وهو حتم لازم لا مناص منه لكل حي من المخلوقات . قال الله تعالي : **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)﴾ سورة آل عمران.**

ويقول الله تعالي :**﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ (34)﴾** سورة الأعراف. **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ(35)﴾** سورة الأنبياء .

الابتلاء بمخالطة النّاس :

قال الله تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (20)﴾** سورة الفرقان.

قوله تعالى :" **بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً** " أي أن الدنيا دار بلاء وامتحان ، فأراد سبحانه أن يجعل بعض النّاس امتحاناً واختباراً لبعض على العموم الذي يشمل كل مؤمن وكافر ، فالصحيح فتنة للمريض ، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني ، فعلى الغني مواساة الفقير وألا يسخرمنه ، وعلى الفقير ألا يحسد الغني ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه ، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق.

والله تعالى بصير بكل أمرئ وبمن يصبر أو يجزع ، ومن يؤمن ومن يكفر ، وبمن يؤدي ما عليه من الحق وبمن لا يؤدي.

قوله تعالى :﴿ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً (20) ﴾ سورة الفرقان. يقول الله :لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون ، لفعلت ، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بهم وأبتليكم بهم. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ :"يقول الله تعالى : إني مبتليك ومبتل بك : وفي الصحيح أنه عليه أفضل الصلاة والسلام ، خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً (37).

المبحث الرابع:الشكر على الابتلاءوالصبر على البلاء :

قال الله تعالي :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (153)﴾ سورة البقرة.

وقال تعالي :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} (7)﴾ سورة إبراهيم.

قال رسول الله ﷺ :" عجبا لأمر المؤمن ، إنّ أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له (39).

تعريف الشكر :

الشكر فعل ينبىء عن تعظيم المنعم لكونه منعماً على الحامد أو غيره . فالشكر صرف النعم فيما خلقت له ، واستعمالها فيما شرعت لأجله .

للعلماء أقوال كثيرة فى تعريف الشكر ، ولكن يجمعها قول من قال : انّ الشكر هو : ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة (40).

والشكر مقابلة المنعم على فعله بثناء عليه وقبول لنعمته واعتراف بها .

والشكر : تصور النعمة واظهارها ، قيل وهو مقلوب عن الكشر : أي الكشف ، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها . والشكر ثلاثة أضرب :

شكر االقلب : وهو تصور النعمة .

وشكر اللسان : وهو الثناء على المنعم .

وشكر الجوارح : وهو مكافأة المنعم بقدر استحقاقه (41).

وقد جمع الله تعالى بين الشكر وضده فى آية واحدة فقال سبحانه وتعالى : **﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} (152)﴾ سورة البقرة .**

والشكر : مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية ، وهو من شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى[42].

ولن يستطيع الإنسان أن يؤدي حق الشكر مهما عمل ، حتى لو قام الليل وصام الدهر ، ودخول العبد الجنة إنّما هو برحمة من الله تعالى.

قال ابن القيم :"والشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته وثناؤه عليه برحمة الله تعالى لا بكثرة العمل.

ومن تمام الشكر التحدث بنعمة الله تعالى ، كما قال سبحانه : **﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} (11)﴾ سورة الضحىَ.**

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ :" التحدث بالنعمة شكر وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، والجماعة بركة ، والفرقة عذاب [43].

ولا يتم شكر النعمة إلا بالعبادة لله عزّ وجل ، وذلك أن الإنسان لا يستطيع حصر النعم ولا شكرها ، فلابد من العبادة شكراً لله عزّ وجل على ما منحه من نعم يستخدمها فيما يجب ، وعلى ما منحه من أجر عظيم في الصبر على البلاء الذي أصابه وعلى ما منحه من قوة في تحمل المشاق والصبر على المكاره [44].

والشكر : مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية ، وهو من شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى [45].

الصبر على البلاء :

الصبر خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل . وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .

المبحث الثاني : تعريف الصبر :

أصل هذه الكلمة هو المنع والحبس ، فالصبر حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما . يقال : صبر يصبر صبراً

وصبر نفسه ، قال تعالى :﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم (28)﴾ سورة الكهف.الصبر ثلاثة أقسام : صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المنهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والقضاء حتى لا يسخط منها.

فالصبر متعلق بالمأمور والمحظور والمقدور بالخلق والأمر ، وهذه الثلاثة هي التي أوصى بها لقمان إبنه في قوله تعالى:﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (17)﴾ سورة لقمان.

الأسباب المعينة على الصبر والرضا وعلاج الهموم :

من طبيعة هذه الحياة الدنيا ، الهموم والغموم والمصائب التى تصيب الإنسان فيها . وطبيعة الحياة الدنيا المعاناة والمقاساة التى يواجهها الإنسان فى ظروفه المختلفة، وأحواله المتنوعة . لذا وجب على الإنسان الصبر والتجلد ، ولا شك فى أن الصبر مقام رفيع ، وطاعة يحبها الله عزّ وجلّ . وقد جعل الله عزّ وجلّ ثواب الصبر بغير حساب فقال تعالى :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)﴾ سورة الزمر. الصبر واجب حتم ، أما الرضا فهو أعلى رتبة منه . وجزاؤه رضا الله عزّ وجلّ الذى هو أكبر من جنة الله كما قال تعالى :﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (72)﴾ سورة التوبة.

وهناك ما يعين على الصبر والرضا منها :

1- استشعار النفس بما تعلمه من نزول الفناء وزوالها ، وأنّ لها آجالاً منصرمة ، فدوام الحال من المحال.

2- أن يتوقع انجلاء الشدائد ، وانكشاف الهموم ، وأنها تتقدر بأوقات لا تنصرم قبلها، ولا تستديم بعدها.

3- أن يعلم أنّ فيما وقى من الرزايا ، وكفي من الحوادث ، ما هو أعظم من رزيته ، وأشد من حادثته .

4- أن يتأسى بالغير ، ويتسلى بأولى العبر ، ويعلم أنهم الأكثر عدداً الأسرع مدداً، فيجد من سلوة الأسى ، وحسن العزا ء ما يخفف عنه .

5- أن يعلم أن النعم عابرة ، وأنها لا محالة زائلة ، وأن السرور بها إذا أقبلت ، مشوب بالحذر من فراقها إذا أدبرت ، وأنها لا تفرح بإقبالها فرحا ، حتى تعقب بفراقها ترحا ، فعلى قدر السرور يكون الحزن ، وقد قيل : من بلغ غاية ما يحب، فليتوقع غاية ما يكره .

6- أن يعلم أنّ سروره مقرون بمساءة غيره ، إذا كانت الدنيا تنتقل من صاحب إلى صاحب ، وتصل صاحبا بفراق صاحب ، فتكون سرورا لمن وصلته وحزنا لمن فارقته .

7- أن يعلم أنّ طوارق الإنسان من دلائل فضله ، ومحنه من شواهد نبله .

8- أن يستفيد من الحنكة ببلاء دهره ، فيصلب عوده ، ويستقيم عموده ، ويكمل بأدنى شدته ورخائه ، ويتعظ بحالة عفوه وبلائه .

9- أن يختبر أمور زمانه ، وينتبه على صلاح شأنه ، فلا يغتر برخاء ، ولا يطمع فى استواء ، ولا يؤمل أن تبقى الدنيا على حاله أو تخلو من تقلب واستحالة ، فإنّ من عرف الدنيا ، وخبر أحوالها ، هان عليه بؤسها ونعيمها .

10- أن يجعل العبد الآخرة همه ، فهموم الدنيا تشتت النفس وتفرق شملها ، فإذا جعل العبد الآخرة همه ، جمع الله له شمله وقويت عزيمته .

11- التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة ، فإنّ معرفتها والتحدث بها يدفع الهم والغم ، ويحث العبد على الشكر الذى هو أرفع المراتب وأعلاها .

12- التوقع المستمر والاستعداد النفسى لجميع الاحتمالات ، فإنّ الإنسان إذا استحضر فى نفسه فقد عزيز أو مرض قريب ، أو أيّ احتمال سيء مما لم يحدث بعد – مع استعاذته بالله من ذلك ورجاء السلامة – فإنّه إذا وقع المكروه سيكون أهون عليه وأخف وطأة لتوقعه السابق.

13- إذا صبر العبد واحتسب فإنّ الله يعوضه خيرا ولا يخيبه .

14- الجزع لا يرد المصيبة ، بل يضاعفها ، حيث يشمت أعداءه ويسوء أصدقاءه ، ويغضب ربه ، ويحبط أجره ويضعف نفسه .

15- أن يعلم العبد أنّ البلاء للمؤمن إما أن يكون تكفيرًا لذنوبه ، أو رفعا لدرجته .

16- أن يعلم العبد أن عواقب الأمور تتشابه فى الغيوب ، فربّ محبوب فى مكروه ، ومكروه فى محبوب ، قال تعالى : **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (216)﴾ سورة البقرة**

17- أن يعلم أن في البلايا فوائد خفيّة ، وحكما مطوية ، فالخير فيما اختاره الله.

18- أن يتدبر العبد إذا ابتلى ببلاء عزّ الربوبية وذل العبودية ، فيعلم أن الله عزّ وجلّ يبتلى من شاء من عباده بما شاء من ألوان البلاء ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه :" لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (46).

19- أن يعلم أنّ أشد الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل ، قال ابن الجوزي :" البلايا على مقادير الرجال : فكثير من النّاس تراهم ساكتين راضين بما عندهم من دين ودنيا ، وأولئك قوم لم يرادوا لمقامات الصبر الرفيعة ، أو علم ضعفهم عن مقاومة البلاء فلطف بهم.

20- أن يتذكر عظمة الله عزّ وجلّ الذى ابتلاه بالبلاء.

21- الدعاء : وهو باب عظيم من طرقه نال ما يرجو ويأمل . عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت :قال رسول الله ﷺ :" ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقل- إنا لله وإنا إليه راجعون – اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرني فيها و أبدلني خيراً منها (47).

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبيّ ﷺ قال :" لا يتمنى المؤمن الموت من ضر أصابه ، فإن كان لابد فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى ما كانت الوفاة خيراً لى (48).

الخاتمـــــة :

الابتلاء نعمـــــة عظيمـــة من نعـــم الله علي عباده المؤمنين ، به تتربى نفوســهم علي تحمل الصعاب والمشاق ، مـــــن التكليف وتبليغ الدعوة ، وبــه يتميــز النــاس بعضهم عن بعض .

"أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثــل [49]. وكمــا يكــون الابــتلاء بالشـــــر ، يكون الابتلاء بالخير ، قال تعالي:**﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَــةً وَإِلَيْنَــا تُرْجَعُونَ} (35)﴾ سورة الأنبياء.**

حياة الرسول ﷺ وصحابته الكرام كانت حياة جهاد ومجاهدة ، وصبر وبذل وعطاء منذ بداية الدعوة حتى الشهادة أو الموت . حياة لا تعرف اليأس ، حياة موصولة بالله تعالى، ومن وصل حياته بالله هانت عليه المصائب ، وذللت أمامــه الــصعاب ، وعــاش بقناعــة ورضي تحت كل الظروف وأمام كل المواقف ، في هذه الحياة الرجولية المكافحة خرج لنا الأعلام الأبطال ، فمن تحت الصعاب والمحن والابتلاءات يخرج الأبطال ويبرز الرجال .

الإيذاء والابتلاء والبأساء والضراء والمحن والمصائب كانت وما زالت امتحانــات لتصفية الرجال لحمل ونشر أغلى رسالة ، رسالة التوحيد ، رسالة الحق الإلهي ، من لــدن آدم – عليه السلام – إلى رسولنا محمد ﷺ وحتى قيام الساعة لم يحمــل هــذه الرســالة إلا الرجال الذين تجردوا لله – سبحانه وتعالى – وما هذا التجرد وما هذه الابتلاءات والمحــن إلا ممر عبور لحياة السعادة الأبدية في جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب . قــال تعالي :**﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَــاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّــهِ قَرِيبٌ (214)﴾ سورة البقرة.**

هكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولــى ، وهكــذا وجههــا إلــى تجــارب الجماعات المسلمة قبلها ، والى سنته – سبحانه – في تربية عباده المختــارين ، الــذين يكل إليهم رايته ، وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته ، وهــو خطــاب مطرد لكل من يختار لهذا الدور العظيم.

عندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة ، عندئذ تتم كلمة الله ، ويجيء النصر من الله :" أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ " إنه مدخر لمن يستحقونه ، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية ، الذين يثبتون على البأساء والضّراء ، الذين يستيقنون أنه لا نصر إلا نصر الله ، وعندما يشاء الله ، بهذا يدخل المؤمنون الجنّة ، مستحقين لها جديرين بها ، بعد الجهاد والامتحان والصبر والثبات والتجرد لله وحده والشعور به وحده وإغفال كل ما سواه وكل من سواه.

إنّ الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة ويرفعها إلى ذروتها ويصهرها في بوتقة الألم ، فيصفو عنصرها ويضيء ، ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها ، عندئذ يدخلون في دين الله أفواجاً[50].

الهوامش والمراجع

1- أخرجه الترمذي في الزهد"2396" من حديث أنس .

2- سنن صحيح الترمذي ج 9 ص 244ت قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

3 القاموس المحيط ج4 ص 181-182 لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مطبعة دار الفكر.

4- روح المعاني للآلوسي 92/21.

5- المفردات للراغب الأصفهاني ص 59.

6- أنظر روح المعاني للآلوسي 92/21.

7- المفردات للراغب مادة نعم ص 72.

8- المسند للإمام أحمد بن حنبل – طبعة دار الدعوة استنبول 243/5.

9- روح المعاني للآلوسي 207/29.

10- المفردات للراغب مادة نعم ص 71.

11- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي 99/4.

12- أنظر محاسن التأويل للقاسمي ج 17 ص 148 م10 ت طبعة دار الفكر –بيروت .

13- أنظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ط دار السلام للنشر والتوزيع الرياض ص 1507.

14 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – تحقيق عبد الرزاق المهدي 49/20

15- فتح القدير للشوكاني 625/5 ط1 1413 هـ = 1993 م ط دار الحديث – القاهرة.

16- في ظلال القرآن لسيد قطب 395/26 –ط دار الشروق.

17- الصحاح للجوهري : ج 6 ص2285.

18- لسان العرب لابن منظور : ج1 ص355.

19- أ نظر التفسير المنير لوهبة الزحيلي ج 17 ص 54 .

20- أنظر :تفسير ابن كثير ص 118.

21- صحيح الترمذي ج 9 ص 244 قال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

22- صحيح البخاري ج 7 ص 3.

23- صحيح مسلم ج 4 ص 1993.

24- صحيح مسلم ج 4 ص 1992.

25- صحيح البخاري ج 7 ص 22 .

26- أنظر : التفسير المنير ج 28 ص 258.

27- في ظلال القرآن لسيد قطب 397/26.

28- رواه مسلم .2664.

29- رواه الحاكم 306/4 وصححه ووافقه الذهبي.

30- صحيح البخاري ج7 ص 2.

31- صحيح البخاري ج 7 ص 3.

32- صحيح الترمذي ج 9 ص 244.

33- أنظر:عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص 12858.

34- أنظر:تفسير القرطبي ج 18 ص 127.

35- صحيح مسلم الحديث رقم 1631.

36- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ج 4 ص 326.

37- أنظر التفسير المنير ج 19 ص 41 ودليل السائلين ص 575.

38- أنظر :تفسير ابن كثير ص 960.

39- صحيح مسلم حديث رقم 2999.

40-أنظر:نعمة الابتلاء في حياة المؤمن . محمود احمد سعيد الأطرش طبعة دار الإيمان ص 61.

41- أنظر:عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص 234.

42- أنظر عدة الصابرين لابن القيم 178.

43- أخرجه البيهقي في الشعب (4419) وأحمد (278/4).

44- أنظر: نعمة الابتلاء في حياة المؤمن محمود أحمد سعيد ص 65.

45- أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (2734).

46- أنظر:صور من صبر السلف ورضاهم بما نزل-أبو مالك محمد حامد – ط دار الإيمان ص 35.

47- صحيح مسلم / في الجنائز رقم 918.

48- صحيح أخرجه أبو داود رقم 3109.

49- أخرجه الترمذي في الزهد رقم 2398 .

50- أنظر الابتلاءات – أساليب الكفرة في محاربة الدعوة – حمود بن عبد الله المطر ص 185.